انتقال مجال الدلالة ... نهج البلاغة انموذجياً

الباحثة:وصال عبد الواحد خضيرالخرساني
جامعة الكوفة /كلية التربية للبنات

انتقال مجال الدلالة ...نهج البلاغة انموذجياً

يعدُّ انتقال مجال الدلالة نوع من أنواع تطور الدلالة عن طريق المجاز فإن : ((الانتقال من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي تغير في معاني المفردات قد يؤدي في النهاية إلى انقراض المعنى الحقيقي وحلول المعنى المجازي محله...))[1].

وكذلك يتم انتقال الدلالة من المجال المحسوس إلى المجال المجرد لا يكون ذلك بصورة مفاجئة بل بصورة تدريجية وتظل الدلالتان سائرتين جنباً إلى جنبٍ زمناً ما قد تستعمل خلاله الدلالة المحسوسة فلا تثير دهشة أوغرابة وفي الوقت نفسه تستعمل الدلالة المجردة فلا تحدث دهشة لأحد، فانتقال الدلالة :((يعتمد هذا الشكل على وجود علاقة مجازية, قد تكون علاقة مشابهة عن طريق الاستعارة .. أي استخدام الكلمة في غير معناها الأصلي لوجود هذهِ العلاقة, وقد تكون علاقة غير المشابهة, وتأتي عن طريق المجاز المرسل... بعلاقاته المختلفة ويسمى هذا المعنى غير الأصلي للكلمة بالمعنى المجاز))[2]. فانتقال اللفظ من مجال دلالته إلى مجال دلالة أخرى لوجود علاقة أو مناسبة بين الدلالتين .

ويجري مظهرانتقال التطورالدلالي في مظاهر بلاغية عدة يمكن نختصر على ثلاثة مظاهر التي تنتقل بها مجال الدلالة, أهمها:

أولا: الدلالة الاستعارية .

ثانيا :الدلالة التشبيهية

ثالثاً : الدلالة الكنائية

أولاً: الدلالة الاستعارية :

تُعدُّ الاستعارة من أنواع التوسع في دلالة المعنى وهي العلاقة الثانية للمجاز اللغوي فإذا كانت العلاقة المشابهة تعني الاستعارة كالأسد في الشجاع[3].وذكر السكاكي (ت 626هـ) الاستعارة تعني : ((أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الأخر مدَّعياً دخول المشبه في جنس المشبه به دالاً على ذلك باثباتك للمشبه ما يخص المشبه به كما تقول في الحمام أسد وأنت تريد به الشجاع مدعياً أنه من جنس الأسود فتثبت للشجاع ما يخص المشبه بهِ وهو اسم جنسه مسد طريق التشبيه بافراده في الذكر)) [4].وهذا من أنواع التطور الدلالي له أثر في انتقال المعاني المفردات .ويمكن بيان النصوص التي أشار إليها الإمام(عليه السلام) أنها من الاستعارة بما يأتي:

دلالة الجموح0

1-وفي قول أمير المؤمنين (عليه السلام) **((وليَخْزُنِ الرَّجُلُ لِسَانَهُ ، فإنَّ هذا اللَّسان جَمُوحٌ بصاحِبه وَاللهِ مَا أَرَى عَبْداً يتَّقي تقْوى تَنْفَعُهُ حَتَّى يَخْزُنَ لِسَانُهُ..))**[5]

فالأصل اللغوي لهذهِ اللفظة عند أصحاب المعجمات تعني : ((جَمَحَ الفَرَسُ جمُوحاً وجِماحاً إذا اعْتَزَّ فارِسَهُ وغلبه فهو فرسٌ جَموحٌ...))[6]

شبه الإمام (عليه السلام) عدم خزن الرجل لسا نه يؤدي إلى خروجه بصاحبه من فضيلة العدل إلى الرذائل الَّتي هي مواردَ الهلكةِ في الدنياوالآخرة كما أنْ الفرس الجموح مخرج صاحبه إلى الهلاكِ, ولفظُ الجموح مستعار له إذ أن دلالة الجمح في كلام الإمام أنها تعني تشبيه اللسان عندعدم ضبطه حالة خوضه في الباطل يؤدي إلى هلكة صاحبه في الدارين إذ لم يستطع صاحبه الإمساك بزمامه فيسقطه في الهاوية .[7] فالاستعارة نوعها (المكنية)فقد حذف المستعار منه ودل عليه لازمة من لوازم الفرس , فتشبيه محسوس بالمعقول ووجه شبه عقلي , وهوعدم السيطرة والإمساك مما يؤدي إلى هلاك صاحبه .وهذا ما يتضح إن تأويل الكلام عن طريق صور الاستعارية يؤدي انتقال في مجال الدلالة .

2-**وفي قوله** (عليه السلام) إذ قال:**((مِنْ إدْبَارِ اَلدُّنْيَا عَنِّي وَجُمُوحِ الدَهرعَلَيَّ وَ إقْبَالِ اَلْآخِرَةِ إلَيَّ مَا يُرَغِّبُنِي عَنْ ذِكْرِمَنْ سِوَايَ وَاَلِاهْتِمَامِ بِمَا وَرَائِي غَيْرَ أَنِّي حيْثُ تَفَرَّدَ بِي دُونَ هُمُومِ اَلنَّاسِ هَمُّ نَفْسِي ...))**[8] .

لفظ الجموح هنا المستعار منه وهو تشبيه اللازمة من لوازم صفات الفرس الجمح مع شيءٍ عقلي وهو (الدهر) المستعار له ووجه المشابهة هنا عدم السيطرة على تغيرات الزمان الَّتي تكونَ خارجة عن إرادته واختياره لتقلب الدهر عليه. فالاستعارة (المكنية)وهو حذف المستعار منه وذكر من لوازمه. فكان للسياق أثر في ظهور المعنى وبيان دلالتها المجازية وذلك يحدث عن طريق الاستعارة مما يؤدي الى التوسع في المعنى .

وكتب أمير المؤمنين (عليه السلام) كتاباً لمالك الأشتر(رض) في عهدهِ إليه :

((وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ ويَزَعَهَا عِنْدَ الجَمَحَاتِ فَإنَّ النَّفسَ أَمَّارةٌ بِالسُّوءِ إلاَّ مَا رَحِمَ الله))[9] فأصل دلالة الجمح في اللغة هو الجري وعدم تملك زمام الفرس . وهو شيء حسي مستمد من واقع البيئة العربية,فهذهِ الصورة تُرسم في ذهن العربي ثم أعطت صورة إضافية لها عن طريق الاستعارة والتشبيه مما صوَّرت دلالتها وألبستها ثوباً جديداً توحي بمعانٍ عدةٍ مختلفة معنوية، يمكن بيانها عند الإمام (عليه السلام) عن طريق الاستعارة بما يأتي :

الدلالة الأولى : نسبة الجموح للسان وذلك لعدم السيطرة عليه مما يهلك صاحبه . كما الفرس يهلك بصاحبهِ .

الدلالة الثانية : نسبة الجموح للدهر لأنه خارج عن إرادته واختياره

الدلالة الثالثة : نسبة الجموح للشهوات لعدم السيطرة عليها إلاَّ بالصبروالتقوى .

فالانتقال من شيءٍ حسي إلى معنوي أعطت دلالات للفظةِ في الكشف عن صورها المختلفة في السياقات جعلت في مشاهد تمثيلية رائعة أدى السياق بيانه من خلال الاستعارة لذلك تعدُّ الاستعارة أبلغ من الحقيقة للوصول إلى المعنى المراد فالاستعارة : ((نقل العبارة عن موقع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض وذلك الغرض أما أن يكون شرح المعنى وفصلالإبانة عنه أو تأكيده والمبالغة فيه أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ أو تحسين المعرض الذي يبرز منه ...))[10]

دلالة الفجر.

وفي كلامِ أمير المؤمنين (عليه السلام) إذْ قَالَ : **((بِنَا اهْتَدَيْتُمْ فِي الظَّلْمَاءِ ,وَتَسَنَّمْتُمْ ذُرْوَةَ الْعَلْيَاءِ , وَبَنِا انْفَجَرْتُم عَن السَّرارِ...)). [11]**

دلالة الفجر حسية بمعنى حمرة الشمس ثم أنتقلت دلالتها معنوية عن طريق الاستعارة خرجت إلى دلالات مجازية أخرى, بمعنى عظمة أهل البيتِ عليهم السلام, وخروج الناس من ظلام الجاهلية,فقد شبه هذهِ الظلَّمة بالسرار وهي .((الليلة أو الليلتين يكون في آخر الشهر يستتر فيها القمر ويخفى))([12]), فكانت حياتهم في الجاهلية كالليل في نهاية الشهر لشدة ظلامه وعند مجيء الإسلام انفجرعنهم وخروجهم من الظلام الدامس إلى نور الإسلام المشرق نور الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) ونور أهل بيته الطاهرين. فالانتقال بالمجاورة من شيءٍ حسي وهو (ضوء الشمس) إلى شيءٍ معنوي تعني نور الإسلام فقد توسعت دلالة الفجر عن طريق الاستعارة وأعطت للفظة دلالات أخرى مما أدّى إلى إعطاء دلالات مجازية للفظة المركزية لمعانٍ أخرى حدَّها السياق عن طريق المجاز فالاستعارة تعطي صوراً إضافية للألفاظ مما تؤدي إلى توسع في دلالات المعاني وإظهار معانٍ مجازية ما تسمى (معنى المعنى) وهو المراد منها .((تصوير الاستعاري نمط عال من بين انواع الصور الادبية لان خلق الصورة الاستعارية تستدعي وقفة وروية ازاء الاشياء التي فتنت لاعادة صياغتها))([13])

دلالة الحدو

ذكرَ أصحاب المعجمات الأصل اللغوي للفظة تعني : ((سوق الإبل والغناء لها, وقد حدوت الإبل حدواً وحُداءً ويقال للشمال حدواء ، لأنها تحدوا السحاب ، أي : تسوقه))[14]. وفي كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصف الدنيا وتقلباتها إذ قال : **((فَهِيَ تَحْفِزُ بِالْفَنَاء سُكَّانَهَا, وَتَحْدُو بِالْمَوْتِ جِيرَانَهَا))** ([15]).

فدلالة الحدو انتقل معناها بالتشبيه بعد أنْ كانت تعني سوق الإبل والغناء له ، فجاء تشبيه

الدنيا بالحدو تعني آلة الغناء لتحول الإبل من مكان إلى آخر ، كذلك شبه الدنيا بها لتنقلنا من حالٍ

إلى حالٍ. ([16])فالتشبيه آلة الحدو بيوم القيامة مثل آلة الإبل بسرعة انقضاء الاجل وكذلك تذكير بالساعة وقربها عن طريق التشبيه له أثر في تنبيه النفوس وإيقاظها عن الغفلة بيوم الآخرة . فالمجاز لهُ أثر كبير في توسيع المعنى وإعطاء دلالات هامشية للفظة المركزية,فتطورت دلالة الحدو عن طريق الاستعارة فوجه المشابهة هنا (الانتقال) حين شبه حدوالإبل وهو حسي مع حدو الساعة عقلي ووجه المشابهة عقلي أيضاً, تعني التذكيروالتنبيه والسرعة انقضاء مدة السير .

ثالثاً : الدلالة التشبيهية :

يعُدُّ التشبيه صوراً من صور بيان المعنى وتوسع الدلالات عن طريق تشبيه شيء بشيءٍ آخر

وأقدمَ من ذكر التشبيه محمد بن يزيد المبرد (ت 285هـ) إذ قال : ((واعلم أن للتشبيه حداً, فالأشياء تتشابه من وجوه وتتباين من وجوه وقَعَ فان شبَّه الوجه بالشمس فإنما يريد الضياء والرونق ولا يريد العظيم والاحراق...)) ([17])

أشار المبرد إلى أن هناك فروقاً بين المشبه به والمشبه من جهات أخرى, ولو انعدمت هذهِ الفروقات لكان التشبيه شيئاً واحداً وهذا محال ان يدخل في فن التشبيه إلا بوجود الفارق بينهما .

وأما القزويني (ت 739هـ) معنى التشبيه عنده المشاركة في المعنى إذ قال : ((التشبيه: الدلالة على مشاركة أمر لآخر في المعنى)) ([18]). فالتشبيه يزيد المعنى وضوحاً ويُكْسبه تأكيداً لذلك لم يستَغنْ أحدٌ عنه من العرب

ويمكن توضيح أهم النصوص التي ذكر الأمام صورالتشبيه في كلامه الشريف بما يأتي : **ـ دلالة التقوى**

معنى التقوى هي الوقاية وحفظ النفس لكنها عن طريق الاستعارة أعطت معاني أخرى مجازية , ففي قول أمير المؤمنين (عليه السلام) : **((أَلاَ وإِنَّ الْخَطَايَا خَيْلٌ شُمسٌ حُمِلَ عَلَيْها أَهْلُهَا، وَخُلِعَتْ لُجُمُهَا فَتَقَحَّمَتْ بِالنَّارأَلاَ وإِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا ذُلُلٌ حُمِلَ عَلَيَهَا أَهْلُهَا, وأُعْطُوا, أَزِمّتَهَا, فَأَوْرَدَتْهُمُ الْجَنَّةَ ... حَقٌ وَبَاطِلٌ))**[19] .

وضح الإمام (عليه السلام) معنى التقوى عن طريق التشبيه بلفظ المطايا وبين اهميتهاعن طريق التشبيه ويقصد كونها ذلاً, وبالهيئة الَّتي ينبغي للراكب بالأزمة إلى حدود الشريعة التَّي يلزمها صاحب التقوى ولا يتجاوزها, لما كانت المطية الذلول عن شأنها أن تتحرك براكبها على وفق النظام الذي ينبغي، ولا يتجاوز الطريق المستقيم بل يصرفها بزمامها وتسير به إلى مقاصده كذلك التقوى فسهولة طريق السالك إلى الله بالتقوى وراحته عن جموح الهوى وبعده عن موارد الهلكة.فقد أستطاع الإمام (عليه السلام أن يوظف معنى التقوى في نصَّ عن طريق صورالتشبيهية ببراعة عالية لوصول إلى كشف معنى دلالة التقوى وما تؤديه إلى معانٍ دلالية عالية المضمون فقدتعدُّ الصور المجازية في حرية الإبداع وبيان دلالة التقوى من خلال تشبيهها بالمطايا حينما تكون سهولة قيادة زمامها وسلوكه للطريق المستقيم وهو طريق الحق فلا تهلكه والابتعاد عن الشبهات أعطت دلالات هامشية أخرى بوساطة التشبيهات فقد شبه التقوى بالمطايا الذلول حينما يسيطرُ صاحب التقوى على نفسه الأمارة بالسوء وتذليل النفس بالطاعات والابتعاد عن المحرمات, قد تملك زمام نفسه وهذا التشبيه عقلي شبه (التقوى) بتشبيه حسي وهو (المطايا) ووجه الشبه هو السيطرة وإذلال النفس أمام المغريات والابتعاد عن كل المحرمات فجعلها طائعة لزمام أمرها ((كون التقوى موصلاً لصاحبه بسلامة إلى إسعاد التي هي أسمى المطالب, يشبه غاية يسير المطي الذلول براكبها والاستعارة في الموضعين استعاره لفظ المحسوس للمعقول ثم إن هنا طريقين مركوبين مسلوكين طريق الخطايا, وطريق التقوى وذكر بعدهما أنَّما (حق) و(باطل)...))[20] .

دلالة الفجَّر

1- قال أمير المؤمنين (عليه السلام): **((أَلا وَإنَّ الْيَوْمَ المِضْمَارَ, وَغَداً السَّبَاقَ, والسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ والْغَايَةُ النَّارُ أَفَلاَ تَائِبٌ مِنْ خَطِيئَتِهِ قَبْلَ مَنِيَّتِهِ! أَلاَ عَامِلٌ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ بُؤْسِهِ! أَلاَ وَ إنَّكُمْ فِي أَيَّامِ أَمَل مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ، فَمَنْ عَمِلَ في أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ فَقَدْ نَفَعَهُ عَمَلُهُ وَ لَمْ يَضرُرْهُ أَجَلُهُ. وَ مَنْ قَصَّرَ في أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ فَقَدْ خَسِرَ عَمَلَهُ وَ ضَرَّهُ أَجَلُهُ))** [21]

فالمشبه به هو الخيل الذي يتسابق مع الخيول في حلبة السباق والمشبه الإنسان الذي يرتاض نفسه بالاعمال الصالحة وتقرب بالتقوى للهِ سبحانه وتعالى ويكون سباقه مع الآخرين ليلحق بعباده

الصالحين ,فالتشبيه حسي بعقلي ووجه الشبه عقلي وهو الفوز والنجاة ودخوله الجنة فالتشبيه جاءَ هنا تشبيه بليغ وهو حذف الأداة ووجه الشبه وهو من أروع التشبيهات وأبلغها وأفصحها فأصل دلالة السبق شيءٍ محسوس مادي يعني((تقدم الخيل وسباقهم في الحلبة))[22]ثم أصبحت شيئاً معنوياً وهو الأعمال الصالحة والزهد في الدنيا وتوجه للهِ ووجه الشبه محذوف شيء معنوي وهو الفوز ... فأصل دلالة السبق هي مادية استمدت صورتها من طبيعة بيئة العربي الذي عاش في الصحراء فشبه الفرس به شيئاً محبوباً يتسابق إلى الجنة فهو تشبيه بليغ حذف وجه الشبه والأداة معاً وهو من أروع أنواع التشبيهات , إذن التشبيه يؤدي توسع به الدلالات لإعطاء معاني ثانوية فالتشبيه تستمدُ صورتهُ من البيئة مما له أثر في صياغة أفكاره وذلك إذ إن كانت علاقة التشبيه (المحسوس بالمعقول) أخذت دلالاتها من صفات الحيوانات في بيان الدلالات المعنوية وهذا اعتاده العربي من تشبيه البيئة التي يعيشها بالمواد الحسية وربطها بالأمور المعنوية فكان الفرس يعني لديه مصدر رزقه وقوته في حياته؛ لذلك كانت معظم التشبيهات والاستعارات قد أخذت من الفرس والجمال وهذا ما لمسناه في تشبيه لفظة الجموح والتقوى والسبق ((يلجأ الشاعر إلى التشبيه بالأمور المعنوية المجردة لسبب يعود إلى العربي نفسهُ الذي ينزع بفطرته لدى الشاعر شديد الاتصال بحسه المادي الأمر الذي جعله يستوحي الجمال الفني من مظاهر الطبيعة من دون الرجوع إلى مخيلته وأعماق نفسه ...))[23] فهذه التشبيهات أعطت للفظة المعجمة دلالات هامشية أخرى لها أثر واضح في نماء اللغة وتطور مفرداتها وتشعبها وهذا ما يعتمد على فهم الشارح للنص وثقافته في بيان الدلالة الهامشية

2- وفي خطبة أمير المؤمنين (عليه السلام) في ذكر فضائل آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) . إذ قال : ((**أَلا إِنَّ مَثَلَ آل مُحَمَّدٍ صلَّى الله عَلَيْه وآلِهِ, كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ : إِذَا خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ فَكَأَنَّكُمْ قد تَكَامَلتْ مِنَ اللهِ فيكُمُ الصَّنائِعَ وَأَرَاكُمْ ما كُنْتُم تَأْمُلُونَ**))[24]

أن المشبه هم آل محمد والأئمة الاثني عشر المعصومون والمشبه بهِ هم نجوم السماء ووجه الشبه الأول هو : ضياء النجوم والاهتداء بها في ظلمات البحر لعدم التيه في الطريق البحر كذلك تمسك بهم ولجأ إليهم لينقذ البشرية به وأما الوجه الثاني فهو عدم خلو الأرض من إمامٍ معصوم فإذا خلت

الأرض منهم تسبح الأرض بأهلها فهم أمان لأهل الأرض كما النجوم أمان لأهلِ السماء فذكر الإمام لفظة النجوم والمراد منها هم آل محمد وهذا ما يريد به (معنى المعنى) من كلام أمير المؤمنين وهذا القصد من فن التشبيه وما له من أثر في توسع المعاني الثانوية في تشبيه شيء واحد لعدة صور مختلفة وتزداد في دلالاتها عن طريق التأويلات المختلفة .

3- وفي خطبته (عليه السلام) في التزهيد من الدنيا الفانية بقوله : **((عِبَادَ اللهِ, أُوصِيكُمْ بِالزَّفْضِ لِهذِهِ الدُّنْيَا التَّارِكَةِ لَكُم وإنْ لَمْ تُحِبُّوا تَرْكَهَا, وَالْمُبْلِيَةِ لأَجْسَامِكُمْ وَإنْ كُنْتُمْ تُحِبَّونَ تَجْدِيدَهَا, فإنَّمَا مَثَلُكُمْ ومَثَلَهَا كسَفْرٍ سَلَكُوا سَبِيلاً فكَأنَّهَمْ, قَدْ قَطَعُوهُ))**[25] .

فالمشبه (هم) يقصد بهِ الإمام عباد الله الَّذين يتهيئون للسفر والمشبه به (الدنيا) يقصد بها السفر أو المحل للسفر الذي يسلكه العبد للوصول إلى سبيله وغايته كذلك سير بنا الدنيا لوصولنا إلى محطة الآخرة بصورة سريعة للوصول إلى دار البقاء. ووجه الشبه هو (قرب الوصول وسرعته) وتحقير الدنيا لقلة البقاء فيها .فالتشبيه له أثر في وضوح المعنى وتوسع في دلالات عن طريق التأويلات والتصوير لتلك التشبيهات .

4- وفي قول أمير المؤمنين (عليه السلام) يصف من كان معه الذين خالفوه بقوله : ((يا أَشْبَاهَ الإبلِ غَابَ عَنْهَا رُعَاتُهاَ, كُلَّما جُمِعَتْ مِنْ جَانبٍ تَفرَّقَتْ مِنْ جانَبٍ آخرَ ..))[26] .

فالمشبَه من كان مع أمير المؤمنين (عليه السلام) الذين خالفوا أوامره ولم يطيعوه , والمشبه بهِ (الإبل) الذين غاب عنها رعاتها ضلَّوا حيارى وتأهين لا يعرفوا طريقهم فشبه بين الذين خالفوا أوامره (عليه السلام) والابتعاد عنه وعدم محاربة معاوية وعدم الأخذ بأوامره في الحرب مثل الإبل التي يغيب عنها رعاتها كلما أراد جمعها تفرَّقت من جانب آخر لعدم وجود من يلمَّ جمعها فوجه الشبه بين أصحابه وبين الإبل هو التفرق والضياع وعدم التزامهم بالأوامر فقد ذكرهم الإمام (عليه السلام) مثل الإبل لذلك تفرقت بهم السبل وهلكوا ، فالتشبيه تمثيل صورة مركبة صورة أصحابه مثل الإبل دون راع فالمشبه حسي مع المشبه به أيضاً حسي ووجه الشبه معنوي وهو (الضياع والحيرة) فصوَّر التشبيه له أثر واضح في وقع النفس وتقرب المعنى للمتلقي وإضفاء معاني ثانوية للفظ مما يؤدي إلى تطور دلالات وتوسعها . قال الإمام (عليه السلام):

((أَقْبَلْتُمْ إِلَيَّ إِقْبَالَ اَلْعُوذِ اَلمطافِيرعلى اولادهاتَقُولُونَ اَلْبَيْعَةَ اَلْبَيْعَةَ قَبَضْتُ كَفِّي فَبَسَطْتُمُوهَا وَ نَازَعْتُكُمْ نَازَعَتْكُمْ يَدِي فَجَاذَبْتُمُوهَا))[27]

فصور التشبيه جاءت بمعاني مختلفة توسعت دلالات الألفاظ وبيان المعنى المراد بيانه عن طريق التشبيه فيرى البحث أن التشبيه إحدى أدوات توسع دلالات وانتقالها الى معاني أخرى فهي ضمن مباحث الدلالية التي تدرس المعنى وبيان المعاني الهامشية عن طريق التأويل والصور الذهنية التي تؤدي تأويل النص إلى تشبيهات مختلفة .

رابعاً : الدلالة الكنائية :

من الألوان البلاغية التي تعطي للفظةِ معنى أكثر رونقةً وجمالاً للنص عن طريق إخفاء المعنى المراد بيانه وعدم التصريح به مما يؤدي إلى توسع في المعنى بالألفاظ القليلة عن طريق تأويلات عدة ومختلفة ربما لأجل التعظيم والتفخيم, أو المبالغة في الوصف أو عدم تصريح بشيءٍ مفحشٍ لأجل استحسان تلك اللفظة فتقوم الكناية بنقل الكلمة من معناها الشائع إلى معنى آخر .

فقد أشار إليها القدامى بأقوالهم ، الكناية عند السكاكي (ت 626هـ) هي : ((ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور إلى المتروك كما نقول فلان طويل النجاد لينتقل منه إلى ما هو ملزومه وهو طويل القامة...)) ([28]) .

1- قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : ((مَصَرعِهِم دُونَ النُطْفَةِ وَاَللَّهِ لاَ يُفْلِتُ مِنْهُمْ عَشَرَةٌ وَ لاَ يَهْلِكُ مِنْكُمْ عَشَرَةٌ))([29])0 وضح الشارح ابن أبي الحديد :((تعنى بالنطفة ماء النهر و هي أفصح كناية عن الماء و إن كان كثيرا جما بالنطفة ماء النّهر و هى أفصح كناية عن الماء و إن كان كثيرا)).([30])جاءت الكناية في النص لتؤكد معنى التهديد والإنذاروقد أشار بالنطفة هي ماء نهرالفرات فقد أشارالى لفظة (نطفة)أراد تصغيرا لشأنه وقصد فيه تهويل الامرعلى الخوارج فلا يفلت منهم عشرة والفعل حدث.([31])فدلالة النطفة أراد توضيح معنى اهم من الظاهر

2- وفي قوله (عليه السلام) : ((كُنَّا إِذَا احْمرَّ الْبَأْسُ اتَّقينا بِرسُولِ الله (صلى الله عليه واله وسلم) فَلَمْ يَكُن أحَدٌ مِنَّا أقرب إلى العَدُوّ مِنْهُ))[32] .

فالاحمرار يقصد به: ((كناية عن اشتداد الأمر و قد قيل فذلك أقوال أحسنها أنه شبه حمي الحرب بالنار التي تجمع الحرارة و الحمرةفعلها و لونها و مما يقوي ذلك قول الرسول ص))([33])

فقد أجاز إلى لفظة احمرار البأس إلى معنى آخر وعدم الإفصاح بها كناية عن اشتداد أمر الحرب فوضعها بصفة اشتعال النار بالحرارة والحمرة فعن طريق الكناية توسعت لفظة (البأس) وأعطت معنى آخر غير معناها الأصلي , فعن طريق المجاز خُلِقتْ صورٌ تعبيريةً مما أدت الى توسع في السياق المعنوي عن طريق فهم المتلقي غير مباشر من الكلام... فقد أراد الإمام (عليه السلام) التعبير عن الحرب المروع والقتل الذي يريق الدماء لا يصرح اللفظ بل بنسبة أوصافه... فالصفة هي (الاشتداد) والموصوف الحرب والبأس والطرف الثالث هو الاحمرار وهو ما يبدو ذلك كناية النسبة[34] .

3- وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : ((فَيَا عَجَباً !! بَيْنَا هُوَ يَستَقيلُهْا في حَيَاتِه إذْ عَقَدَها الآخِرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ لشدَّ ما تشَّطرا ضَرْعَيْهَا! فصَّيرَها فِي حَوْزةٍ خشناء يَغْلِظُ كَلاَمُهَا, ويَخْشُنَ مَسُّهاَ ..))[35] .

فقد شبه الإمام (عليه السلام) الخلافة بالناقة فكل من حصل عليها أراد حلبها والانتفاع منها, ثم كنَّى بخشونة المواجهة بالكلام والجرح بهِ ,فذكر جفاوة المس هي كناية عن خشونة طباع الخليفة .([36]) فجاءت الكنايات هنا تبيَّن طبع وغلظ الخليفة وميوله للخشونة بطريقة غير مباشرة فقد عبَّر الإمام (عليه السلام) عن الخلافة كناية في وصف الناقة وإعطائها صورة تتمثل بانتقالها من شخص إلى آخر وانتفاع بها دون إعطائها لأصحابها الشرعين . فالكناية هنا أبلغ من الإفصاح أراد الإمام (عليه السلام) بيان حقه من أمر الخلافة عن طريق الكناية وعدم التصريح بها بل جاءت في تشبيهات رائعة أعطت دلالات متسعة في فهم معنى المعنى والمراد من ذلك الأمر المخفي على الناس .

ولقد جاءَ الوصف عن طريق الناقة التي كانت مصدراً رئيساً لرزقهم في حياة العرب فوصفت بها الخلافة لسَهولة توصيل الفكرة للمتلقي عن طريق ما يستوحي من المستلزمات البيئة التي يعيش فيها .

4- وفي قول أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصف النبي (صلى الله عليه واله وسلم) وأهل بيته الكرام : ((أُسْرَتُهُ خَيْرُ أُسْرَةٍ, وَشَجَرتُهُ خَيْرُ شَجَرَةٍ, أَغْصَانُهَا مُعْتَدِلَةٌ, وَثِمَارُهَا مُتَهَدِّلَةٌ...))[37] .

فدلالة التهدل جاءت بمعنى كثرة نسله الشريف الذي يتباهى بهم بين الأمم. والانتفاع بعلمهم الذي ورثوه من أهل البيت عليهم السلام فصورة تهدَّل بيان الثقل الثمرة في الأغصان مما يؤدي ميلها إلى الأرض كذلك علمهم والانتفاع بفضائلهم ومكارمهم.([38]) فصورة التهدَّل تكُنَّى باهل بيته (صلى الله عليه واله وسلم) أعطت دلالات واسعة عن طريقِ التصوير وإخفاء المعنى المراد بهِ عن طريق التأويل الذي يقضي إلى (معنى المعنى) وهو يراد معرفته ويمكن بيان المعنى عن طريق الاستعارة.

5- وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) أيضاً لاحداعداءه المغيرة : ((يا ٱبْنَ اللَّعِينِ الأَبَتَرِ, والشَّجَرَةِ الَّتي لا أَصْلَ لَهَا وَلا فَرْعَ...))[39] .

كنَّى الإمام (عليه السلام) بالشجرة لاأصل لها ولا فرع وهذا ما وصف القرآن الكريم أيضاً بني أمية بالشجرة الملعونة كناية عن خبثهم وحقارتهم للمسلمين فلا أصل لها ولا قرار على الأرض فقال **أمير المؤمنين (عليه السلام)** له الابتر ((**إنما قال له يا ابن الابتر لأن من كان عقبة ضالا خبيثا فهو كمن لا عقب له بل من لا عقب له خير منه و يروى و لا أقام من أنت منهضه بالهمزة**))[40].فهؤلاء الظلمة لا يكون لهم أصول في الأرض .فالكناية جاءت في تصوير بني أمية بتلك الشجرة التي ليس لها أصل أي جذر بمعنى تأريخهم المسوَّد بالظلم والقتل والنهب لآلِ محمد خاصة ولمحبيهم عامة وليس لهم فرع على الأرض يتباهى به هؤلاء القوم بل لا قرار لهم واجتثاث شجرتهم الملعونة من على الأرض.فهذهِ التشبيهات الرائعة التي سوغها الإمام (عليه السلام) عن طريق الكناية وضحت معاني أكثر وصورة أوضح في ذهن المتلقي . فهنا الكناية أُبلغ من الإفصاح عنهم فالإمام (عليه السلام

حين ذكر خبث الشجرة التي لا قرار لها أراد بيان (معنى المعنى) للوصف وهو الخبث والنفاق فتصوير اللفظة للمعنى الآخر وهو المقصود .

- وقال (عليه السلام) في خطبته الشقشقية ((يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ, ولا يَرْقَى إلَيَّ الطَّيْرُ, فَسدَلَت دُونَهَا ثَوبْاً, وطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً...))[41] .

فقد وضحت الصور الكنائية عظمة أمير المؤمنين(عليه السلام) فقد:((تصدر مولانا عليّ بن أبي طالب عليه السّلام هذا الحفل التشريعي و العلمي و الأدبي الرّهيب و محلّه منه محلّ القطب من الرّحى ينحدر عنه السيل و لا يرقى إليه الطير و أبلغ في بيان المعارف الإلهيّة ، و الأحكام الشرعيّة ، و الأصول التربويّة و المواعظ الإرشاديّة ، و الدستورات الاجتماعيّة ، و الحكم الأخلاقيّة ، و الحكمة العمليّة بما عجز عنه غيره و إن جهد ما جهد)).([42])

فالكناية الأولى هي صورة ارتفاعه وعلوّه مثل الجبل والصورة الثانية صورة السيل الَّذي ينحدرمن أعالي الجبال التي يستسقى منه الوديان فلم تستقر المياه على قمم الجبال . وكذلك جود أمير المؤمنين (عليه السلام) وفيض علومهِ وكمالاته النفسية فهي تنحدر من نفسه الطاهرة لتستقي أرواح المؤمنين بتلك العلوم الربانية والكمالات الألهية التي لا نظير لها .فهذهِ الصور الَّتي جاءت عن طريق الكنايات لبيان المعنى وأما الكناية الثالثة أشار لتدبيره (عليه السلام) ومعرفته في أمور السياسية وتدبيره شؤون الدولة كيف لا يكون كذلك وهو الذي اختاره الله تعالى له الولاية التكوينية له إذ ذكَّر عز من قائل: **﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾**[43].

فهذه الكنايات الثلاثة أعطت صوراً مختلفة لبيان معنى اللفظة الأولى مُعنى الانحدار السيل من أعالي الجبل إلى معانٍ ثلاث وهي بيان معنى أخر وهو المقصود والمراد منهِ عن طريق الكناية وعدم الإفصاح بهِ مما يولد في ذهن المتلقي هناك شيء أعظم من اللفظ الظاهر . بما يراد به المعنى المخفي مما يؤدي إلى عدة تأويلات وهذهِ التأويلات هي التي تخلق لنا دلالات مختلفة وسبب اختلافها وتنوعها في ثقافات الشراح وأثرهم في بيان جمالية النص في ظهور (معنى المعنى) من وراء وهذا ما نستنتجه من الكناية وهو المراد : (معنى المعنى) من النص والشيء البعيد الذي يؤول إليه وعدم الإفصاح عنه في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) .

7-وفي قول أمير المؤمنين (عليه السلام) لمروان ابن الحكم عند عدم مبايعته (عليه السلام) إذ قال :((إِنَّها كَفٌّ يَهُودِيَّةٌ, لَوْ بَايَعَنِي بِكَفِّه لَغَدَر بِسُبَتَه . وَسَتَلْقَى الأُمَّةُ مِنْهُ وَمِنْ وَلَدِه يَوْماً أَحْمَرَ!))[44] .

فدلالة اللون الأحمر هنا أشار إليها الإمام **(عليه السلام)** بمعنى الحرب وكثرة الدماء مما يسيله بني أميَّة للمسلمين وسفك الدماء ([45])فالمراد بيوم الأحمر المعنى البعيد وهو (معنى المعنى) وعدم الافصاح به وهو الحرب وشدته. فالكناية توسع في دلالة المعنى والإيجاز في اللفظ .وهذا مما يبدو أن الكنايات التي استعملها الإمام ليستدل بها الحالة النفسية ما عانه (عليه السلام) من أصحابه ومن أعدائه ومن الذين سلبوا منه حقه الشرعي وهي الخلافة وبيان أهمية الحرب مع أعدائه, وكذلك بيان منزلة أهل بيته الطاهرين عن طريق الكناية وهذاما يؤدي إلى بيان(معنى المعنى) المراد من تلك الكنايات التي يقصد بها الإمام **(عليه السلام)** شيء اخر.
فكانت فكرته التي صاغها عن طريق الكناية أعطت دلالات واضحة لو صرح بها لَمْ تعط تلك الدلالات وتوسعها في بيان أهمية الأمر وخطورتهِ فعن طريق صور الكنائيةَ انتقلت المعاني وضوح معنى تلك الكنايات .إذ أن:((تكوين الصورة الكنائية يقتضي تركيب صورتين احدهما تعمل على توجيه الأخرى الأول :وهي صورة الأصل حقيقة لاتتعدى حدود اللغة والثانية صور تشيع من الأولى منصرفة عما وضعت له إلى الإيحاء والرمز متخذة من صورة الأصل دليلا يتوصل به إلى إدراك المعنى الجديد (البعيد)...))([46])

ملخص البحث

نستنتج ان انتقال مجال الدلالة هو من المجالات التي تتطور فيها المعاني وحلق معاني هامشية اخر عن طريق الاستعارة والكناية والتشبيه وذلك حين يشبه المحسوس بشيئ عقلي فكانت هذه العلاقة لها الحظ الاوفر في هذه الاساليب البلاغية .

فالتشبيه يؤدي الى توسيع الدلالات وأعطاء معاني ثانوية والكناية لها اثر واضح في تطويرواخفاء المعنى المراد عن طريق التأويل الذي يبين معنى المعنى المراد معرفته .
وكذلك الاستعارة تطورت مجازية اللفظة المركزية الى معاني اخرى يحددها السياق مما يؤدي الى اظهار صور استعارية توضح معاني اخرى . وهذه يؤدي الى خلق دلالات هامشية.

Semantic Alternation is regarded as a type of Semantic development through rhetoric. Semantic changes from the sensible to the abstract in a gradual way. Semantic Alternation occurs in several rhetoric styles of

which are the metaphoric, smile and metonymy. The researcher have mentioned several terms taken from Imam Ali (p.b.u.h) who adopted the characteristics of animals like the camel and the horse. He used such kind of simile to give the sense that the khilafate is like the camel can be moved from one owner to another. This is a way used to reveal the meaning of the meaning and to describe the sensed things with the reasonable tangible things. The choice of the camel was because the camel was something important in the lives of ancient Arabs who used to depend on it in their lives as a source for milk, meat and its hair as being the main way of their transporation.

المصادر والهوامش

1. د,محمد صالح السامرائي ,ظ : المجاز في البلاغة العربية ،: 114
2. د.عودة خليل, التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن: 53
3. د. فريد عوض ,علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية: 79
4. السكاكي مفتاح العلوم: 174، للبحراني ,شرح نهج البلاغة:4 /127
5. البحراني ,شرح نهج البلاغة: 696/3
6. ، الجوهري ,الصحاح,مادة جمح: 530/1 ظ : ابن منظور لسان العرب ,: مادة جمح
7. نهج البلاغة ،: 256/5
8. المصدر السابق0: 426/2
9. البحراني ,شرح: 331/5
10. ابن أبي الحديد .شرح نهج البلاغة:312/3
11. المصدر السابق:315/3
12. د.داود سلوم نصوص النظرية البلاغية ،: 204
13. البحراني ,شرح نهج البلاغة ، 67/3
14. الفيروز الآبادي, قاموس المحيط : 1287
15. البحراني, شرح نهج البلاغة ،: 202/1
16. حفني محمد شرف , الصورة البيانية:369
17. الجوهري ,الصحاح ،,مادة حدا:1/ 52، ظ : مقاييس اللغة : /2ب2/35, لسان العرب , ماده حدو : 412
18. المصدر السابق:: 205/1-
19. البحراني ,شرح نهج البلاغة ،: 186/1

20. الجوهري ,الصحاح ،,مادة حدا: 1/ 52، ظ : مقاييس اللغة : 35/2, لسان العرب , ماده حدو : 412
21. البحراني: شرح نهج البلاغة ، 314/2
22. البحراني شرح نهج البلاغة : 2/255 -
23. د. عبد الكريم السعداوي ,غريب نهج البلاغة ،: 396
24. البحراني, شرح نهج البلاغة: 255/2
25. البحراني ,شرح نهج البلاغة: 489/3 تاج العروس : مادة سبق: 3/6
26. د. راجحة الزبيدي ,براعة التصوير الفني في شعر ابن مقبل ،: 147
27. البحراني ,شرح نهج البلاغة /487
28. محمد عبده ,نهج البلاغة :65/4
29. السكاكي ,مفتاح العلوم ،: 189
30. بن ابي الحديد المعتزلي, شرح نهج البلاغة3/5
31. ظ:ابن ابي الحديد المعتزلي, شرح نهج البلاغة4/5
32. الأداء البياني فيخطب الحرب في نهج البلاغة , رسالة تقدمت بها نجلاء عبد الحسين عليوي الغزالي جامعة الكوفة /ماجستير في اللغة وآدابها /1423-2002م:110
33. البحراني, شرح نهج البلاغة: 514/5
34. البحراني, شرح نهج البلاغة: 514/5
35. ظ د. عبد الكريم السعداوي,غريب نهج البلاغة: 410
36. ابن أبي الحديد ,شرح نهج البلاغة :22/4
37. البحراني, شرح نهج البلاغة: 171/1
38. ابن أبي الحديد ,شرح نهج البلاغة :22/4
39. ظ:البحراني, شرح نهج البلاغة: 171/1
40. ابن أبي الحديد ,شرح نهج البلاغة :180/4
41. المصدر نفسه:184/4
42. البحراني, شرح نهج البلاغة:582/3
43. حبيب الله الهاشمي الخوئي:-منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة :234/4
44. سورة المائدة :من الآية 55
45. ابن أبي الحديد ,شرح نهج البلاغة :180/3
46. البحراني, شرح نهج البلاغة: 5/ 355
46. د. عباس علي الفحام **:**التصوير الفني في خطب الإمام علي (عليه السلام)

المصادر والمراجع

***- خيرما نبدأ به - القرآن الكريم**

1-ابن منظور: أبو الفضل, جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711هـ) :دار صادر للطباعة والنشر دار بيروت ، (1375هـ -1956م)

2ابن أبي الحديد المعتزلي(ت1385هـ) - شرح نهج البلاغة **:** تح : محمد أبي الفضل إبراهيم المكتبة , ط2 ، دار إحياء التراث العربي ، (1428هـ - 2008م

3-البحراني,كمال الدين ,ميثم بن علي البحراني (ت 679هـ) شرح نهج البلاغة : ط1, لبنان - بيروت ، (1430هـ - 2009م) .

4-حبيب الله الهاشمي الخوئي(:ت 1324 هـ):منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة:ضبطه وحققه : علي عاشور , دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان (1424هـ - 2001م**)**

5-**الجوهري ،أبو نصر, إسماعيل بن حمادي (ت393هـ) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية** : تح : أميل بديع يعقوب د.محمد نبيل الطريفي ,ط1, منشورات محمد علي بيضون , دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان(1420هـ - 1999م)

د.داود سلوم نصوص النظرية البلاغية

6- د. راجحة الزبيدي ,براعة التصوير الفني في شعر ابن مقبل) :براعة التصوير الفني في الشعر ابن مقبل: بغداد (1431هـ -2010م).

7- د. **عباس علي الفحام :**التصوير الفني في خطب الإمام علي (عليه السلام) رسالة ماجستير كلية لتربية للبنات ، جامعة الكوفة , (1999م)

8- د. **عبد الكريم السعداوي-غريب في نهج البلاغة أسبابه , أنواعه , توثيق نسبته , دراسته** : , ط1, طهران , فرصاد , (1429هـ - 2008م) .

9- **د.عودة خليل, التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن:** تطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن :, ط1, مكتبة المنار , الأردن - الزرقاء , (1405هـ - 1985 م) .

10-السكاكي ,أبو يعقوب, يوسف بن أبي بكر (ت 626هـ) :- مفتاح العلوم : مطبعة مصطفى البابي الحلبي , وأولاده ، بمصر(1356هـ - 1937م) .

11-د.فريد عوض حيدرعلم الدلالة دراسة نظرية تطبيقية : ط1, الناشر مكتبة الآداب ، (1426هـ - 2005م) .

12-الفيروز آبادي, محمد بن يعقوب بن محمد إبراهيم (ت 817هـ),

قاموس المحيط : تح, د. يحيى مراد ط1 , مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة (1429هـ - 2008م) .

13- **القزويني, جلال الدين محمد بن عبد الرحمن (ت739هـ)**-الإيضاح في علوم البلاغة ، تحقيق , د.عبد الحميد هنداوي , ط3, القاهرة،(1428هـ -2007م)

14-القزويني, جلال الدين محمد بن عبد الرحمن (ت739هـ)التلخيص في علوم البلاغة : ضبطه وشرحه عبد الرحمان البرقوقي ، الناشردار الكتب العربي

15-مهدي صالح السامرائي (الدكتور)

- مجاز في البلاغة العربية **:** ط1 , دار الدعوة حماس سوريا , (1394هـ - 1974م)

16-المبرد , أبو العباس ,محمد بن يزيد (285هـ) ،

الكامل في اللغة والأدب **:** مكتبة المعارف , بيروت , (د. ط) , (د.ت) .

17 -محمد عبده ,نهج البلاغة :65/4

18- نجلاء عبد الحسين عليوي الغزالي :الأداء البياني فيخطب الحرب في نهج البلاغة , رسالة / ماجستير في اللغة وآدابها / جامعة الكوفة /1423-2002م:11